[161] غائبا، أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما أخذ فيه، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التهارش، والحمام السبق لاترابهن، والقيان ذوات المعازف وضرب الملاهي تجده باصرا، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى ا من وزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه، فو ا ما برحت تقدح باطلا في جور، وحنقا في ظلم حتى ملات الاسقية (1) وما بينك وبين الموت إلا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ، في يوم مشهود، ولات حين مناص، ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الامر، ومنعتنا عن آبائنا تراثا، ولقد - لعمر ا - أورثنا الرسول عليه الصلاة والسلام ولادة وجئت لنا بها، أما حججتم به القائم عند موت الرسول، فأذعن للحجة بذلك، ورده الايمان إلى النصف، فركبتم الاعاليل، وفعلتم الافاعيل، وقلتم كان ويكون، حتى أتاك الامر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا أولى الابصار، وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول ا صلى ا عليه وسلم وتأميره له، وقد كان ذلك، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول، وبيعته له، وما صار - لعمر ا - يومئذ مبعثهم حتى أنف القوم إمرته، وكرهوا تقديمه، وعدوا عليه أفعاله، فقال صلى ا عليه وسلم: لا جرم معشر المهاجرين، لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري. فكيف تحتج بالمنسوخ من فعل الرسول، في أوكد الاحكام، وأولاها بالمجمع عليه من الصواب ؟ أم كيف صاحبت بصاحب تابعا، وحولك من لا يؤمن في صحبته، ولا يعتمد في دينه وقرابته، وتتخطاهم إلى مسرف مفتون، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه، وتشقى بها في آخرتك. إن هذا لهو الخسران المبين. وأستغفر ا لى ولكم. قال ؟ فنظر معاوية إلى ابن عباس فقال: ما هذا يا بن عباس ؟ ولما عندك أدهى وأمر. فقال ابن عباس: لعمر ا إنها لذرية الرسول، وأحد أصحاب الكساء، وفي البيت المطهر، فاله عما تريد، فإن لك في الناس مقنعا، حتى يحكم ا بأمره وهو خير الحاكمين. فقال معاوية: أعود الحلم التحلم، قال: وخيره التحلم عن الاهل. انصرفا في حفظ ا، ثم أرسل معاوية إلى عبد الرحمن ابن أبي بكر، وإلى عبد ا بن عمر، وإلى عبد ا بن الزبير، فجلسوا، فحمد ا وأثنى عليه معاوية ثم قال: يا عبد ا بن عمر قد كنت تحدثنا أنك لا تحب أن تبيت ليلة وليس في عنقك بيعة جماعة وأن لك الدنيا وما فيها، وإني أحذرك أن تشق عصا المسلمين، وتسعى في تفريق ملئهم، وأن تسفك دماءهم، وإن أمر يزيد قد كان قضاء من

---

(1) الاسقية جمع سقاء وهو القربة، والمراد أنك تكلمت كثيرا حتى ملات الاوعية من كثرة كلامك. (*)